مجلة الإحياء، المجلد: 20، العدد: 25، جوان 2020، ص - ص: 761 – 782
الترقيم الدولي:4350-1112الترقيم الدولي الإلكتروني:2406-2588

جمالية المخطوط المغربي
بعض المقومات من خلال مخطوط دلائل الخيرات

من نسخة لأبي القاسم القندوسي (ت1278 هـ-1861 م)
محفوظة بالمكتبة العامة للرباط برقم: 399كـ

طالب الدكتوراه محمد العيد سماير
جامعة باتنة-1- الحاج لخضر
مخبر المتخيل الشفوي بين حضارة المشافهة من جهة وحضارتي الكتابة والصورة من جهة أخرى
mohamed.smair@Univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2019/10/21 **تاريخ القبول: 2020/04/20**

ملخص البحث:
تميز المخطوط المغربي في وعائه المادي بمقومات، كانت كفيلة بإكسابه قيمة فنية، تمثلت في جمالية، رغبت فيه المقتني، والمتملك، والدارس، رغم ماقيل عنه من ضعف في القيمة العلمية عموما .
فمعظم المخطوطات المغربية تكرار وتقليد لما أنتجه علماء المشرق، أو شروحات وحواشي على منتخباتها في التأليف.
فماهي المقومات الفنية والجوانب الجمالية التي أكسبت المخطوط المغربي قيمة فنية معتبرة؟
أمكن حصرها في جانبين:-استعمال الألوان –جمالية الخط
مع تطبيق عملي على مخطوط مغربي(دلائل الخيرات للجزولي، بخط الناسخ الجزائري المولد والنشأة محمد ابن القاسم القندوسي)

Abstract:
The maghreb manuscript in its material aspect was characterized bya principal basics, which were sufficient to give it artistic value, which was aesthetic, so desired by those who want to acquire it, and who want to

Become their property, and those who want to study it, despite the common weakness of scientific value in general.
Most Moroccan manuscripts are a repetition and a tradition of what has been produced by Mashreq scholars, explanations and clarifications, and margins on their books.
What are the artistic and aesthetic sides that had given the moroccan manuscript an important artistic value ?It was possible to do so in two aspects: the use of colors-the aesthetic of the fonts
With practical application to the Moroccan manuscript (DALAIL6ALKHAIRETof the jazuli, to write of the Algerian-born copier and the Genesis Mohammad ibn al-Qasim al-Guanoddosi

مقدمة البحث:

مع الاهتمام المتنامي بالمخطوط العربي، تولدت لدى كثير من أهل الاختصاص نظرة سلبية للمخطوط الجزائري والمغربي بصفة عامة، كان مبعثها حصر قيمة المخطوط في المحتوى، فنتج عن ذلك طعن في القيمة العلمية لسواد كبير من مخطوطاتنا، واعتبارهاشروحا متكررة ممجوجة، وتحشيات لمضامين مشرقية، وهوغمط عفوي أو مقصود أحيانا أخرى، لأهل المغرب وإسهاماتهم الحضارية والفكرية .

فهل قيمة المخطوط مقتصرة على محتواه المعرفي فقط ؟أم أنها يمكن أن تنشأ من جانبه المادي ؟ و هل يمكن للعناصر الفنية، المتمثلة في الخط وأشكاله المتعددة، وسمكه وألوان المداد، والزخرفة بتنوعها الشكلي، والموضعي، والتصوير بمظهريه المرجعي الملتزم، والفني المتطور، والفراغات الابتدائية أو البينية، والتناسب في طول الأسطر، والأبعاد بينها، وعددها في الورقة، وكذا التجليد في حرفيته الجميلة، وزخارفه وتوشياتها الرائعة أن تؤسس لمقومات كوديكولوجية متفردة تكسب المخطوط المغربي (والجزائري خصوصًا) قيمة جمالية ؟ وكيف تجلت هذه المظاهر الفنية في مخطوطة دلائل الخيرات للناسخ الجزائري، المغربي، محمد بن القاسم القندوسي؟

لقد أسهمت الدراسات الكوديكولوجية، في العناية بالمخطوط وتقدير قيمته، حين لم تغفل الوعاء المادي للمخطوط ودلالاته البينة على المقومات الحضارية للشعوب، ورصدها للجوانب الثقافية والصناعية والفنية للدول المتعاقبة على جغرافيات محددة بعينها.

فدراسة المخطوط في جوانبه كلها مادية كانت أم معرفية، تجعله كيانا قائما بذاته، متفردا في إحالاته على الحضارة بتموقعاتها المرحلية، وسيرورتها في البعدين الزماني والمكاني.

ومن هذا المنطلق سنسلط الضوء على بعد قيمي للمخطوط المغربي بصفة عامة، في مقومات تعد أسسا ركينة، ودعائم متينة، في القيمة الجمالية والبصرية، مما جعله مطلبا للتحقيق، وهدفا للعناية والاقتناء، كل ذلك مع أرضية حية للدراسة والتحليل، وحداتها التجريبية قطع من مخطوط "دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار"لمحمد بن سليمان الجزولي، بخط ناسخ جزائري المولد والمنشأ مغربي الإقامة والمدفن، أبو القاسم محمد بن علي القندوسي.

المحور الأول: الكتاب والناسخ

أ - التعريف بالكتاب: دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار

"كتاب من تأليف محمد بن سليمان الجزولي المتوفى سنة 870هـ، جمع فيه صيغا في الصلاة على رسول الاسلام -صلى الله عليه وسلم –وهو يعد من أشهر الكتب في هذا المجال، مما جعله محط اهتمام كثير من العلماء قديما وحديثا، وخصوصا الصوفية منهم، فجعلوه جزء من أورادهم التي يقرؤونها صباحا ومساء....و أيضا حكام المسلمين وأمرائهم، وبذلوا في نسخه وتوزيعه في البلاد، وكان آخرهم السلطان عبد الحميد"1، وهي مخطوطة موجودة بالمكتبة العامة بالرباط، ومرقمة بـ:399 كـ، وقد أشار إلى نسبتها للناسخ، محمد المنوني، في دراسته :"مؤلفات مغربية في الصلاة والتسليم على خير البرية"2، وأكد ذلك في كتابه تاريخ الوراقة المغربية"، :"ومن مستنسخاته من دليل الخيرات نشير إلى خمسة:واحدة فرغ من كتابتها ضحوة الخميس14 رمضان 1224هـ، ومن مقابلتها فاتح ربيع النبوي1247هـ، خ.ع.ك399-"[3]

ب - ترجمة الناسخ:

"أبو عبد الله سيدي محمد ابن القاسم القندوسي، منسوب إلى القنادسة، كان رحمه الله خامل الذكر في حياته، لايعرفه بولاية إلا بعض الخواص من أصحابه، ممن خالطه وعرفه، وكشف له عن أسراره، وكان له خط حسن جيد، وأخبرت أنه كتب مصحفا في إثني عشر مجلدا، قل أن يوجد نظيره في الدنيا"[4]، والقندوسي نسبة إلى بلده الأصلي القنادسة التي أخذ من زاويتها علومه الأولية، وهي اليوم بلدة عامرة في الجنوب الغربي لصحراء الجزائر، والظاهر أن الشيخ كان موجودا ببلدة القنادسة إلى حدود1201ه -1790م، حيث يكون قد هاجر بعد هذا التاريخ ونزل مدينة فاس المغربية، التي فتح الله عليه فيها، فآثر المقام بها، والذي يترجح لدينا أنه دخل فاس قبل عام 1244هـ-1828م"[5]

محمد بن القاسم القندوسي، أبو عبد الله : فاضل، متصوف، من أهل القنادسة... وكان جيد الخط، تسخ عدة دواوين، وكتب مصحفا في 12 مجلدا قل أن يوجد له نظير، وكان يبيع الأعشاب في سوق العشابين، بفاس وتوفي بها، ودفن خارج باب الفتوح . وهو الذي كتب اسم الجلالة البديع الشكل بجامع الضريح الإدريسي "[6]

المحور الثاني: جمالية المخطوط ومظاهر قيمته الفنية

1. جمالية المخطوط:

هذه القيمة تنتجها المظاهر العيانية (البصرية، المرئية) في المخطوط، وتتشكل من الكتابات والخطوط والأشكال الزخرفية، والقطع التصويرية، والعلامات، والرموز، والألوان، والفراغات المحيطة أو البينية، والأسطر، والنقاط، والتذهيبات، والتناغم في الأشكال، والتناسق والتدرج والتمازج في الألوان، وطول الأسطر، والرتابة في عددها، وتراص الكلمات، واتصال الحروف وانسيابها..... كل تلك المرئيات تكسب المخطوط جاذبية، وتأثيرا حسيا على العين، فتتشكل الانطباعات الجمالية "وإذا قام الخطاط بالكتابة، فلابد أن يقترن الجمال بالكمال، فيتم تذهيب الصفحات المكتوبة ولو بإطار خفيف، ويندر في المخطوطات القديمة أن تجد كتابة مجودة من أي نوع من الخطوط إلا وتتم الزخرفة حولها، مع التذهيب، لأن تقدير الناس الذين يقتنون هذه المخطوطات، هو تقدير لجمال الكتابة، التي هي في نظرهم، كتقدير قيمة الذهبفالكتابة المجودة والذهب قيمتهما سواء، ويزيد من تجميلها وجود الزخارف بينهما، وحولهما بالألوان الجذابة، ويكون ذلك في المصاحف بالدرجة الأولى تكريما لكلام الله،

وإعلاء لحفظه، ومن هنا زادت القيمة المادية والمعنوية والفنية الجمالية للمخطوطات المجودة عامة، والمصاحف المذهبة خاصة"[7]

وبلاد المغرب ليست في منأى عن حركة التجويد والتجميل في المخطوط و"كما اهتم المغاربة بموضوع الكتاب، فقد اهتموا بمظهر الكتاب، فكان لهم فن جميل فيما يتعلق بنسخ الكتب وزخرفتها، وتزيينها بالصور أحيانا، وبالأشكال الهندسية، والذهب والألوان، سواء في صلب الكتاب وهوامشه، وأطرافه، أو في تسفيره"8

2. مظاهر القيمة الفنية لجمالية المخطوط

وللعلمية نفصل هذه القيمة الفنية لجمالية المخطوط المغربي(والجزائري)، ونتناولها بالدراسة في مظهرين، كما يلي:

المظهر الأول:استعمال الألوان

فاللون من المرتكزات في تحديد الحكم على جمالية العمل الفني، وأحد المكونات التشكيلية، لما يثيره في النفس، وينتجه من تأثير على العين"صحيح أن المادة التي يحويها الكتاب هي الأساس في أهمية الكتاب، ولكن حينما تقترن

بجمالية الفن في صناعة الكتاب بالتذهيب، والتلوين، والزخرفة، والتزيين، فذلك مما يثير اهتمام الناظر إلى هذا الكتاب أكثر من غيره"[9].

ولأهمية الألوان وفاعليتها في جمال المخطوط، اهتم علماء هذه الصناعة والعارفون بها بذلك فألفوا فيه، وكان للمغاربة دور في ذلك، إذ ينسب للمعز بن باديس الصنهاجي كتابه "عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب"، وفيه صفة الخط والأقلام والمداد، فمثلا الباب الرابع في عمل الأحبار الملونة/عمل الحبر الأحمر والأصفر والأخضر، و الباب السادس في خلط الأصباغ والألوان وتوليدها /الألوان الأبيض والأسود والأحمر والأخضر والأصفر ولون السماء اللازورد، والباب السابع في الكتابة بالذهب والفضة والقصدير وما يقوم مقامهم.

فاللون هو أهم عناصر التشكيل، والذي يحصل عن التأثير المشترك بين الضوء الساقط على الجسم بمركباته الإشعاعية المختلفة، ضمن المجال المرئي بوحدات طيفه المحدود، والخلايا المستقبلة في شبكية العين وما ينتج بعد ذلك من انطباع وإدراك حسي، وفقا لدرجة اللون وأوضاعه، وشدته، وتوزعه في المخطوط، وتناسقه مع بقية الألوان، ودلالاته التعبيرية، وهذا ما يبعث السمات الجمالية ويدفقها في المخطوط، فيشد نحوه الانتباه، على أساس من التباين، وفقا لدرجات اللون، وسطوعه، وتموضعه مع بقية الألوان المجاورة أو الممتزجة، فيؤدي كل ذلك إلى نشوء رمزية في التعبير، وعاطفية في الإيحاء، وهذا ما يكمل المسحة الجمالية للمخطوط.

واللون في المخطوط المغربي لا يمكن الاستغناء عنه، فوجوده ضروري، فـ" الكتابة في الغالب بالحبر الأسود الحالك، أو قشر الجوز، وقد يصنع الحبر من مادة عطرة...أما الشكل فكان في -الغالب – يلتزم التي يوصي بها أبو عمرو الداني"[10]، فقد جاء في كتابه:"والذي يستعمله نقاط أهل المدينة في قديم الدهر وحديثه من الألوان، في نقط مصاحفهم، الحمرة والصفرة لا غير، فأما الحمرة فللحركات والسكون والتشديد والتخفيف، وأما الصفرة فللهمزات خاصة"[11].

وقد تبع أهل المغرب أهل المدينة في ذلك مع اجتهاد زاد من جمال المخطوطات "مع إضافة لونين جديدين، حيث يرسم التشديد والسكون الحي بلون الزرقة في الأكثر، أو بلون الخضرة"[12]، والمتأمل للوحات دلائل الخيرات، العينة محل الدراسة، سيرى اعتماده مجموعة من الألوان في كتابة الحرف، أو تلوين خلفية الورقة محل الكتابة، أو الفراغات البينية، أو تطعيم

وملء للوحدات الزخرفية، ومما أبرز جمالية المخطوط اختيار الألوان واستعمالها الجيد فـ: "قد وفق الفنان المسلم في ذلك توفيقا منقطع النظير وساعده على ذلك احترام الأذواق المخزونة في ذاكرة الشعوب الإسلامية، وعدم المساس بموروث الثقافات القديمة للألوان، التي تتداخل فيها الأديان والأعراف، وأساطير المجتمعات، واختلاف الشجون المنسجمة مع سجية كل إنسان، ولكن دون أن يلغي ذلك استعمال الفنان المسلم الألوان المستقاة من العقيدة الإسلامية والقرآن الكريم"[13]، إذ أن الألوان التي استعملها هي: الأخضر والأحمر و الأصفر و الأزرق والأسود، وقد ذكرت في القرآن الكريم، وكان استعمالها كما يلي:

اللون الأحمر:

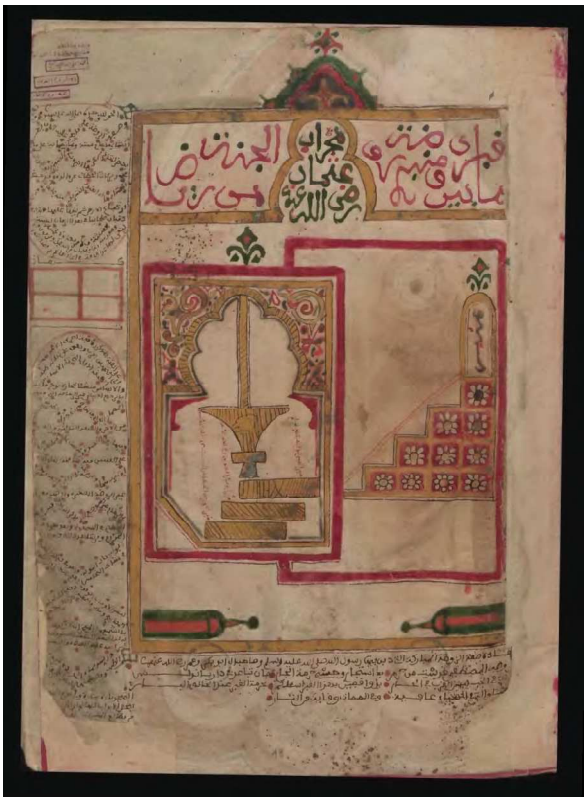

ظهر هذا اللون في المخطوط بتدرجين، قد يكون التغير سببه التقادم، وطول الحقبة التاريخية، أو بفعل تأثير الضوء على المخطوط، فاقترب من البرتقالي، أو جاور البنفسجي في مسحة أرجوانية، تتراوح بين داكنة في مواضع، وفاتحة في أماكن أخرى، وتواجد هذا اللون ظهر جليا في استعمال الناسخ له في تسطير بعض الأطر بحواف الورقة أو معظمها، كما استعمل في تلوين الخلفيات، وكتابة العناوين

واختيار هذا اللون كما سبقت الإشارة، نابع من عقيدة الناسخ، وذوقه المتأثر بمجتمعه وبيئته، فأهل المغرب يرون في اللون الأحمر لون الإثارة والانتعاش، والحب في أرقى صوره.

اللون الأسود:

استعمله في الكتابة بمختلف أشكالها في المتن أو الحواشي أو الهوامش، كما تجسد جليا في الزخرفة والرقش، والتصوير، والبسملة، وبعض العناوين، والتسطير في الحدود الخارجية للأطر والوحدات الزخرفية، كما بدا عريضًا مغطيا مساحات كبيرة في بعض اللوحات الاستعراضية، كالتي حملت لفظ الجلالة والبسملة، وكلمة محمد صلى الله عليه وسلم .

والأسود يمتص جميع الأشعة الساقطة عليه ولا يرسل أي لون منها مما يسهل من قراءة المكتوب، ويعطي راحة للعين، فيجنبها تأثير الأشعة اللونية المنبعثة من الجسم، و استعمال الناسخ للون الأسود في كتابة الحرف مع وجود اللون الأحمر يتخلل الفراغات البينية، ويتوزع فيها شاغلا علامات الشكل، والمقاطع الافتتاحية والاستئنافية، يوزع الطاقة توزيعا يخدم جمالية اللوحات، إذ تبرز النصوص وتشد القارئ إليها في حميمية وحب، خاصة أن المخطوط في حب النبي صلى الله عليه وسلم، فبرز اسم الجلالة متوقدا باثا حرارة التعلق والرجاء، مبعثها حمرة المداد المستعمل في توهج كلمة "الله"، رابطا بها كلمة "محمد" أو ما يدل عليها كالنبي، رسول الله، حيث أحيطت كلمة محمد المثبتة باللون الأحمر، بمختلف درجة سطوعه، بالخط الأسود، يركز الحمرة ويكثفها، داخل كيان الحروف، فيزيدها اتقادا وتوهجا في قلب المحب المقتدي.

اللون الأصفر:

استعمله القندوسي بالأطر والدوائر، يعبئ به إحاطاتها، والتفاف حروف الكلمات البارزة المستعملة في زخرفة اللوحات المتعددة، مبرزا دوره الذهبي،

منتقيا درجة سطوع متوسطة ليكون أقرب للذهبي، عزز ذلك بهالات بيضاء (فراغات)، وخلفيات حمراء، فاصلا بين جسم الحرف والمساحات المتواجد فيها، بحدود سوداء اللون، فأضفت هذه التوزيعات اللونية فسيفسائية مغربية على لوحات المخطوط بأقلام الكتابة، ضاهت في دورها المبدع ريشة الرسام.

أعتقد بأن هذه المخطوطة تُعد تحفةً في فن زخرفة المخطوط والتي تدل على امتلاكها لجمالية خالصة وبساطة في التكوين وخلوها من أي عناصر نباتية أو عناصر أخرى سوى الهندسية، المرتبطة بالكتابة المغربية في بساطتها فضلاً عن ابتعاد الفنان هنا عن تضمين المخطوطة الألوان الطبيعية المتعود تواجدها في أية مخطوطة أمثال (الأزرق والأخضر وتدرجاتهما)، وتأكيده على اللون الأحمر الفاتح والداكن بجانب اللون الأصفر الذي ربما كان لوناً ذهبياً .وبالتالي قد أعطت هذه الاختزالات للمخطوطة جمالاً رحباً للتأمل والسياحة في ملكوت الجمال الحقيقي، فاستعمال هذا اللون أدى أدوارا جمالية تزيد النصوص إشعاعا ووضوحا، وتمنح المخطوط قيمة مادية فيعوض التذهيب الذي اشتهرت به المخطوطات النفيسة تلك الأونة، ويمد التالي لتلك الصلوات، والمقتني للمخطوط أملا بالقرب، وثقة في الشفاعة، وتفاؤلا بالمغفرة والقبول، وهي من اللوازم التعبيرية للون الأصفر.

اللون الأخضر:

استعمله الخطاط المزخرف باقتصاد في التواجد، واتساع في المساحة المستغلة، يحيط به زخرفته ومنمنماته، ويجعله الفاصل بين رقشه وحواف الورقة، يعلوها، كما تعلو القباب الخضراء محاريب التعبد والصلاة، ومراكز الاشعاع والهداية.

المظهر الثاني: هندسة الخط المغربي وفنيته المميزة

لا أحد يستطيع إنكار القيمة الجمالية التي يمتلكها الخط العربي بتنوعاته، وإسهاماته المتعددة في المجالات الثقافية والفنية للحضارة الإسلامية في تشعباتها المختلفة، في العمارة واللباس، والصنائع والتعليم والإدارة، انطلاقا من البدايات البدائية، مرورا بإسهامات المسلمين في الترقية والتطوير، ووصولا إلى الخط المغربي وما حمله من إشارات معبرة، ومهارات مبدعة.

"لقد كان أبو حيان التوحيدي أول من تحدث في جمالية وتقنية الخط، توضح ذلك في رسالة تحت عنوان علم الكتابة...وضع أبو حيان شروطا للخط الجميل، فيقول :والكاتب يحتاج إلى سبعة معان: الخط المجرد بالتحقيق، والمحلى بالتحديق، والمجمل بالتحويق، والمزين بالتخريق، والمحسن بالتشقيق، والمجاد بالتدقيق، والمميز بالتفريق"[14]

ثم يربط كل ذلك بمظاهر جمالية، تبهج النفوس، حين يفصل ما أجمل: "أما المجرد بالتحقيق فإبانة الحروف كلها منثورها ومنظومها، مفصلها وموصلها، بمداتها وقصراتها، وتفريجاتها وتعريجاتها، حتى تراها كأنها تبتسم عن ثغور مفلجة، أو تضحك عن رياض مدبجة.

وأما المراد بالتحديق فإقامة الحاء والخاء والجيم، وما أشبهها على تبييض أوساطها، محفوظة عليها من تحتها وفوقها وأطرافها كانت مخلوطة بغيرها، أو بارزة عنها حتى تكون كالأحداق المفتّحة.

وأما المراد بالتحويق فإدارة الواوات والفاءات والقافات، وما أشبهها مصدّرة وموسطة، ومذنّبة، بما يكسبها حلاوة ويزيدها طلاوة.

وأما المراد بالتخريق فتفتيح وجوه الهاء والعين والغين وما أشبهها، كيف ما وقعت، أفرادا وأزواجا بما يدل الحس الضعيف على اتضاحها وانفتاحها.

وأما المراد بالتعريق فإبراز النون والياء وما أشبهها، مما يقع في أعجاز الكلمة مثل من وعن و في ومتى وإلى و على، بما يكون كالمنسوج على منوال واحد.

وأما المراد بالتشقيق فتكنف الصاد والضاد والكاف والطاء والظاء، وما أشبه ذلك مما يحفظ عليها التناسب والتساوي، فإن الشكل بهما يصح، ومعهما يحلو، والخط في الجملة كما قيل:هندسة روحانية بآلة جسمانية.

وأما المراد بالتنسيق فتعميم الحروف كلها مفصولها وموصولها بالتصفية، وحياطتها من التفاوت في التأدية، ونفض العناية عليها بالتسوية.

وأما المراد بالتوفيق فحفظ الاستقامة في السطور من أوائلها، وأواسطها، وأواخرها وأسافلها وأعاليها بما يفيدها وفاقا لا خلافا.

وأما المراد بالتدقيق فتحديد أذناب الحروف بإرسال اليد، وإعتمال سن القلم، وإدارته مرة بصدره ومرة بسنّه، ومرة بالإتكاء، ومرة بالإرخاء، بما يضيف إليها بهجة ونورا ورونقا وشذورا.

وأما المراد بالتفريق فحفظ الحروف من مزاحمة بعضها لبعض، وملابسة أول منها لآخر ليكون كل حرف منها مفارقا لصاحبه بالبدن مجامعا بالشكل الحسن"[15].

ولد الخط المغربي -الذي انتشر عبر جغرافية واسعة متنامية، امتدت من الأندلس حتى الحدود الليبية، ووصولا إلى تومبكتو في الصحراء الكبرى-من رحم الخط الكوفي، متمثلا في صورته الأولى الخط القيرواني.

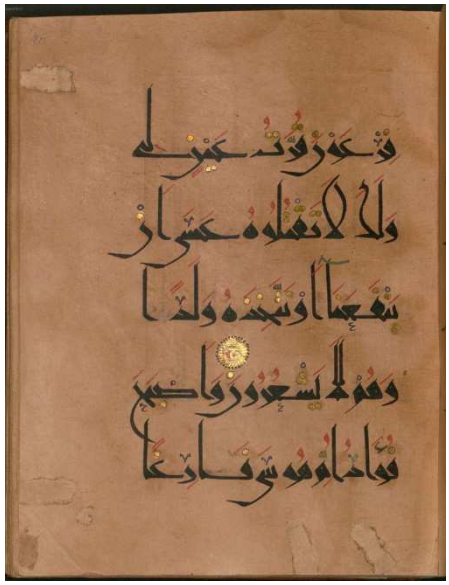

وبدأ يتميز بتطوراته الفنية الحاملة لحضارة عريقة، وتذوق جمالي متفرد"فاتخذ شكله الخاص والمتناسق، وفرض نفسه بين الخطوط العربية، بل وتميز عن كثير منها بخصائصه ومحاسنه، ولعل أبرزها صعوبة قراءته، وتمنعه اللامتناهي عن كشف أسرار حروفه من الوهلة الأولى، قبل ضمان خشوع القارئ بشكل تام"[16]، فإنجاز الخط المغربي يتطلب وضع الحروف وفق أشكال ورسوم حددها مسبقا المسار الفني الذي تشكل في المخطوط وفي الجدران وفي مختلف الوسائل وفق منهج تطور عبر التاريخ، فتعبر تلك الحروف والأشكال والرسوم في ذاتها وبحركاتها وأشكالها في ارتباط وثيق مع الصياغات الجمالية للحروف عن كل ما تقتضيه الخطابات الجمالية السابقة في الزمن، وعما يروم إليه جمال الحروف أثناء عمليات التركيب المتنوعة لمدة خلت من تاريخ صناعة الخط. ولذلك، فإن هذا يتطلب ثقافة خطية رصينة، ويتطلب وعيا جماليا، ويتطلب التعرف على الأسس الهندسية للحروف ودقة أشكالها وطرائق اشتباكها وتركيبها منذ العهود الأولى للمخطوط المغربي. لأن من خاصيات الكتابات الخطية المغربية أنها تتسم بوجود أشكال خطية متنوعة بديعة في المخطوط الواحد تتضمن تركيبات مختلفة تندرج ضمن التراكيب ذات الأشكال الهندسية المتنوعة، فمعالجة اشتباك الحروف وتداخلها يتم في نطاق ما تمتاز به من تنظيمات جمالية وإيقاعات خطية لها إيحاءاتها المغربية الخاصة المدججة بالتناغم والترديد.. وتتنوع الجماليات في الأشكال الخطية المغربية وفق ما تتوفر عليه من مفردات فنية، منها ما يقوم على الرمز ذي الدلالة التعبيرية، ومنها ما يقوم على الإيقاعات الخطية المتحولة إلى أشكال مغربية دقيقة الوضع والجمال والمعنى الفني والروحي، لأنها تقوم على التداخل بين المجال الروحي والخطي وتقوم على الرؤية التمثيلية ذات الإيحاءات الرمزية، ومنها ما هو قائم على التجريد ذي الدلالة التعبيرية، ومنها ما هو قائم على تحولات شكل الحرف في التركيب الواحد الذي تنتج عنه علاقات جمالية. وغالبا ما تتسم الإيقاعات الخطية المغربية بالتنامي والاسترسال"[17].

و من مميزات الحروف المستعملة في كتابة المتن، وزخرفة اللوحات الفنية في المخطوط، أنها تكتب في نطاق عمليات وصل بين الحروف والأشكال المتجاورة بقيم فنية مهمة فريدة قوامها التدوير والاستقامات والزوايا والاسترسالات والمدود والميلان والأقواس والبسط والتراصف والتراكب والتلاصق والتقارب بين السطور.. فضلا عن دعمها بتناغمية بتوزع الشكل، من علامات الفتح والكسر والضم والتنوين. كما أن الزخارف الخطية التي

قوامها شكل الحروف المتأرجح بين الكوفي في صلابته وثباته، والمبسوط في مسحة زمامية، تمنحه إكمال الفراغ، وتحقيق القفلات الزخرفية ضمن الإطار المحدد سلفا ولا نتجاوز الافتتاح بالبسملة واسم الجلالة، وكلمة محمد صلى الله عليه وسلم، وما كان للناسخ من إبداع وحضور جمالي متألق، إذ حققت للخطاط شهرة وخلودا وتميزا في نوع الخط وشكل الحروف.

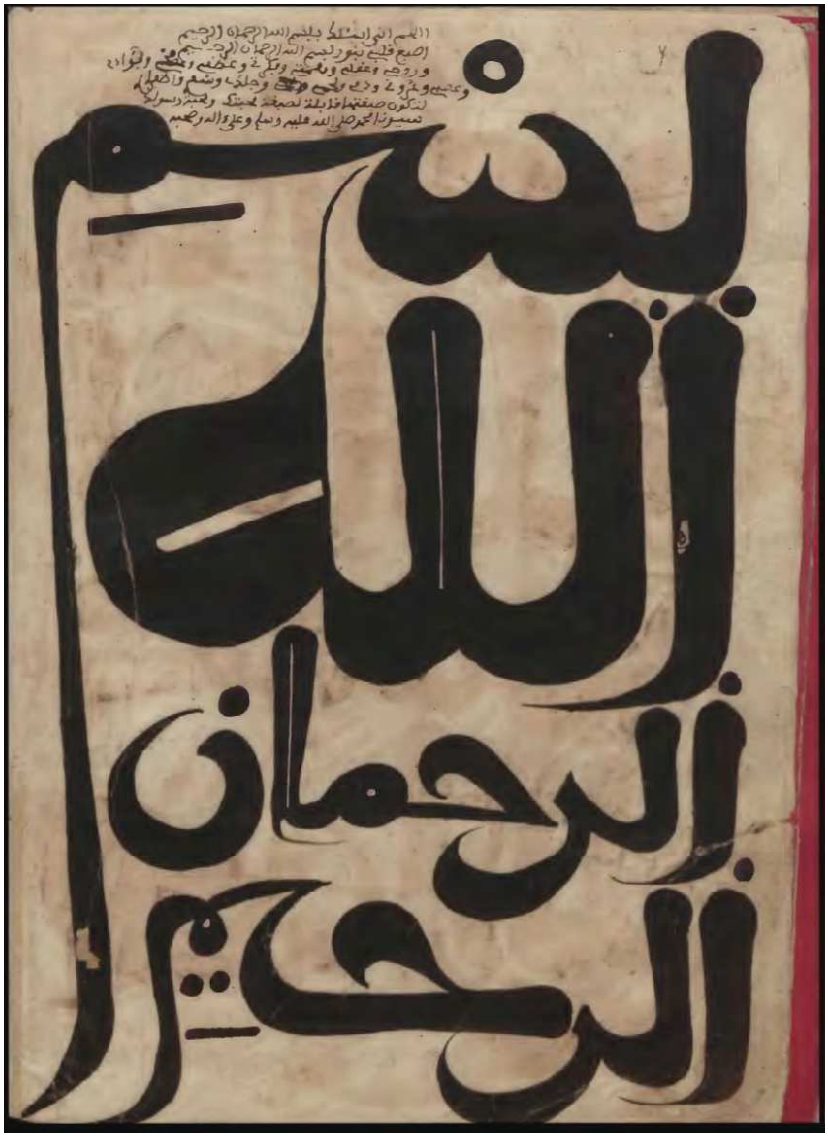

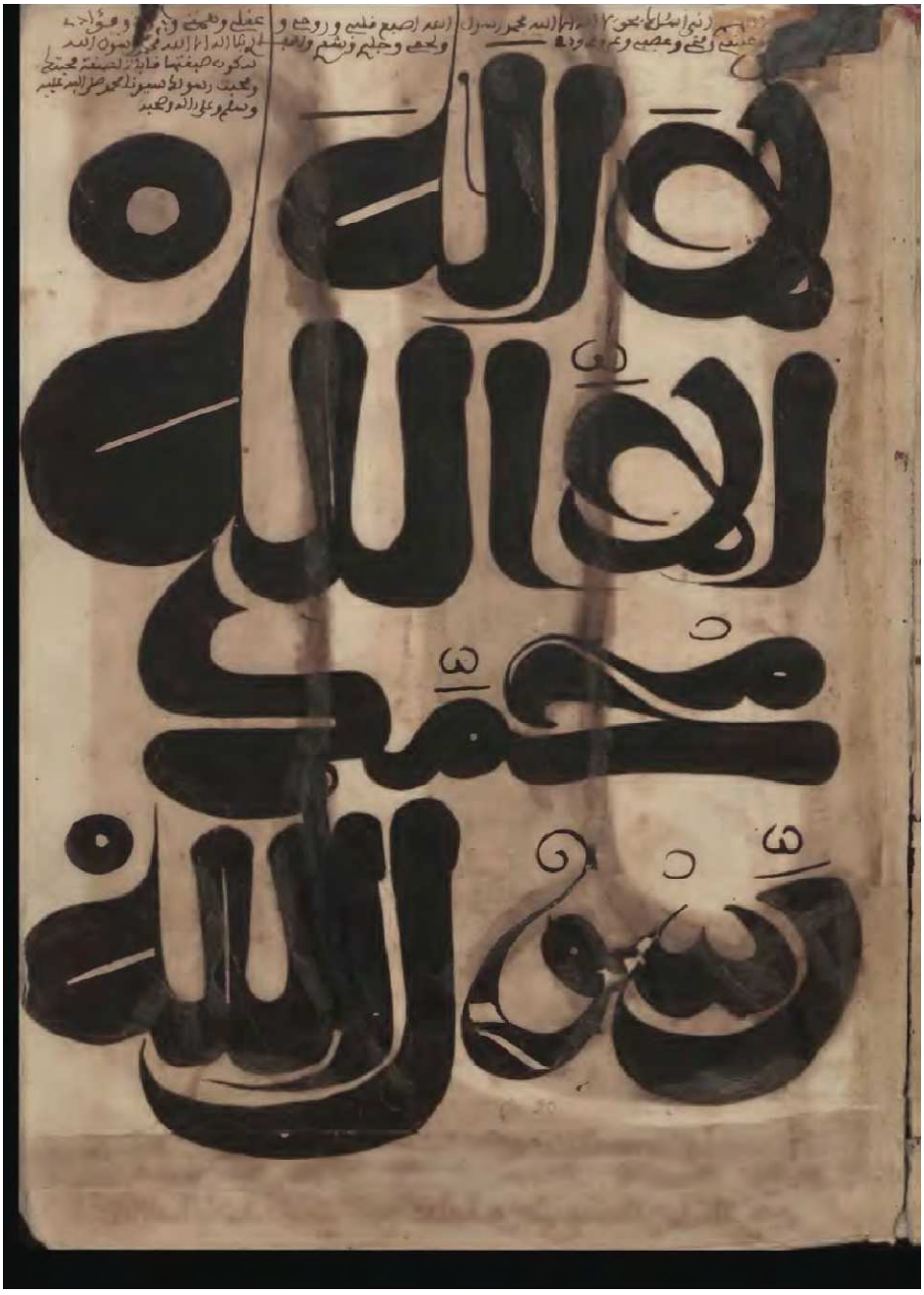

وهي لوحات فنية ازدان بها المخطوط موضوع الدراسة، وكذلك المصحف الشريف المصحف الكبير الموجود بالخزانة الحسينية بالرباط، تحت رقم3595.

تعددت أشكال الخط المستعمل في العناوين الزخرفية، والعبارات الهامة المنفردة، بحجم كبير، بأشكال تكاد تكون قريبة إلى الكوفي المتمغرب، بمسحة مبسوطة، وممارسة هندسية تتيح للكلمات الانتقال الح، بعيدا عن الترتيب المحقق للمعنى، في التواءات، وتداخلات، تخدم جمالية الأداء، وتجعل المساحات المزخرفة كافية لاحتواء العبارة المنتقاة.

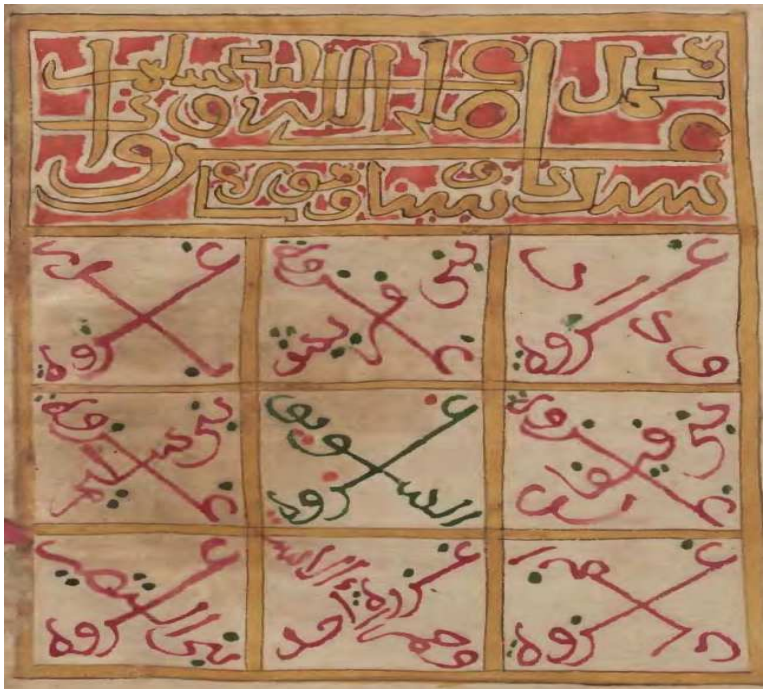

أما في كتابة المتنفقد طغى الخط المغربي في شكله المبسوط الجميل المتزن، ناهيك عن التشكيلات الأخرى بمختلف الأصناف المعروفة، والأنساق المتلونة، منفردة مستقلة كانت، أم متمازجة متنوعة، من كوفي متمغرب، أو ثلث مغربي بسيط، أو مسند زمامي، مع إنطلاقات صحراوية ظهرت في امتدادات بعض الحروف وعراقات بعض منها، فاعتماد الناسخ على الكتابة بالمبسوط طريقة درجوا عليها في كتابة المصاحف، والكتب المهمة، والمؤلفات العلمية، لبساطته

ووظيفيته" يبدو هذا الخط رشيقا وواضح الحروف ومستقيم التركيب، وتختلف أحجام حروفه عن جميع المقاييس المتعارف عليها في الخط العربي، فبعضها طويل جدا مثل الواو والراء، وبعضها منفتح أكثر مثل العين الأولية. وتتميز بعض الحروف بوجود الدوائر النصفية تحت خط الكتابة، هذه الدوائر التي تشكلها أجزاء الحروف النازلة المنحنية كما هو الشأن بالنسبة لحروف النون والصاد والسين والياء .وفائدتها الجمالية أنها تعدل من هيئة النص وتجعله ينساب وفق إيقاع مرن متسلسل في صعوده ونزوله. وبينما تكسر حروف الواو والراء التدوير المشار إليه، فإن حرف الميم يتخذ اتجاها أكثر عمقا يحقق الاتصال بين مختلف أسطر النص المكتوب مع ميل أو تعريقة في آخره تلطف من شكله العمودي الجاف"[18].

ويزيد هذا النوع من الخط جمالية للمخطوط كونه رشيقا وواضح الحروف ومستقيم التركيب، وتختلف أحجام حروفه عن جميع المقاييس المتعارف عليها في الخط العربي، فبعضها طويل جدا مثل الواو والراء، وبعضها منفتح أكثر مثل العين في بداية الكلمة. كما تتميز بعض حروفه بوجود الدوائر النصفية تحت وفوق خط الكتابة، هذه الدوائر التي تشكلها أجزاء الحروف النازلة المنحنية كما هو الشأن بالنسبة لحروف االنون والصاد والسين والياء، وتتمثل الجمالية في ذلك أنها تعدل من هيئة النص وتجعله ينساب وفق إيقاع مرن متسلسل في تموضعه حول محور توازن بصري، وهو السطر. وبينما تكسر حروف الواو والراء التدوير المشار إليه، فإن حرف الميم يتأرجح بين طرفي السطر في ثبات كأنه يشد الأسطر إلى بعضها ليحفظ بنيان اللوحة الفنية متناسقة متناغمة.

الخاتمة:

بعد هذا الجهد في قراءة فنية لمقومات عينة من المخطوطات المغربية، بخط ناسخ يمكن نسبته إلى الجزائر، القندوسي، وذلك ما جعلنا نختار هذه المخطوطة رغم أنها ليست الأقدم، إذ يمكن التوصل إلى النتائج التالية:

1. نستطيع أن نتبين جملة من الجوانب الفنية والتي يمكن اعتمادها في العناية والبحث المتعلق بمخطوطاتنا، وتتصل بالجزء المادي من المخطوط وما يمكن أن يتصل به، وهو مدار الدراسات الكوديكولوجية الحديثة، والذي يبقى بؤرة للدرس والتنظير في عالم المخطوط، وهو ما يفتح الأفاق العلمية والثقافية والفكرية عل امتداداتها، ويجعل الباحث أكثر حرية وانعتاقا.
2. تجاوز موضوع المحتوى في المخطوط المغربي، والمعروف بانحصاره في علوم مطروقة ومكررة .

3. إضافة إلى تحديد بعد قيمي لمخطوطاتنا العربية والإسلامية، يضمن لها التألق والنفاسة وهو الجانب الفني الجمالي بمقوماته المعروفة عن الأمة الإسلامية، من زخرفة وجمال خط، ظل ومازال مبعث الفخر والاعتزاز والتفرد بين الأمم.

ونسأل الله عز وجل أن يجعله لبنة في البدء، وخطوة في الانطلاق لسبر أغوار ذخائرنا التراثية وكنوزنا الدفينة، للكشف عن ابداعات الفنان المسلم في الجزائر والدول العربية والإسلامية، وعن جماليات تراثنا التليد.

المراجع والمصادر المعتمدة

المراجع والمصادر

الكتب:

1. تاريخ الوراقة المغربية، محمد المنوني، كلية الآداب العلوم الإنسانية، الرباط، ، ص 1991
2. ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي (رسالة في علم الكتابة)، تحقيق إبراهيم الكيلاني، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1951
3. جمالية الفن العربي، عفيف بهنسي، سلسلة المعرفة14، 1979
4. دلائل الخيرات، عيسى بن عبد الله الحميري، دار الفقيه، 2005
5. -الخط العربي من خلال المخطوطات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
6. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، محمدبن جعفر الكتاني، دار الثقافة المغرب
7. -شراب أهل الصفا في الصلاة على النبي المصطفى، محمد بن القاسم القندوسي، ضبط عبد الله حماد الإدريسيو خونا أحمد محمود الجكني، دار الهدى، عين مليلة
8. -قبس من عطاء المخطوط المغربي، محمد المنوني، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1999
9. -المحكم في نقط المصاحف، أبو عمرو الداني، تحقيق عزة حسن، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق

المجلات والدوريات:

1. مجلة دعوة الحق، س18، ع4
2. مجلة الحكمة، لندن، صفر1418، العدد12

3. مجلة المعرفة، العدد624، أيلول2015
4. مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، 18
5. مجلة الجزيرة العدد57، نوفمبر 2016
6. مجلة مدارك العدد الثالث 2006

المواقع الإلكترونية:

1. http://www.alnoo-
2. http://www.habous.gov.ma/ar/

الهوامش:

[1]-مقدمة كتاب دلائل الخيرات، عيسى بن بعبد الله الحميري، دار الفقيه، 2005، ص4

[2]-مجلة دعوة الحق، س18، ع4، ص28

[3]-تاريخ الوراقة المغربية، محمد المنوني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ، 1991، ص173

[4]-سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، محمدبن جعفر الكتاني، دار الثقافة المغرب، ص54

5-شراب أهل الصفا في الصلاة على النبي المصطفى، محمد بن القاسم القندوسي، ضبط عبد الله حماد الإدريسيو خونا أحمد محمود الجكني

[6]-الأعلام، الزركلي، خير الدين الزركلي، ط15، 2002 م، الجزء 7، ص8

[7]-الخط العربي من خلال المخطوطات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ص33،

[8] -- الكتاب المغربي وقيمته محمد ابراهيم الكتاني، مجلة الحكمة، لندن، صفر1418، العدد12، ص12

[9]-تذهيب وتلوين المخطوط العربي الاسلامي، محمد ياسر زكور، مجلة المعرفة، العدد624، أيلول2015، ص27

[10]-قبس من عطاء المخطوط المغربي، محمد المنوني، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1999، ص37

[11]- المحكم في نقط المصاحف، أبو عمرو الداني، تحقيق عزة حسن، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق، ط2 1997، ص19

[12]-قبس من عطاء المخطوط المغربي، ص37

[13] -الألوان ودلالاتها في الحضارة الإسلامية، حنان عبد الفتاح مطاوع، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، 18، ص426

[14]-جمالية الفن العربي، عفيف بهنسي، سلسلة المعرفة14، 1979، ص103

[15]-ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي(رسالة في علم الكتابة)، تحقيق إبراهيم الكيلاني، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1951، ص32-33

[16]-الخط المغربي رسالة المغاربة من القيروان إلى تومبكتو، اعتماد خلدون، مجلة الجزيرة العدد57، نوفمبر 2016، ص2

[17]-الخط المغربي والمشروع الجمالي، محمد البندوري، http://www.alnoor.se/

[18]-محمد المغراوي كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط، مجلة مدارك العدد الثالث 2006، وبالموقع الإلكتروني وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب . http://www.habous.gov.ma/ar/